وهكذا نشأت البلاغة وترعرعت تحت راية القرآن والبحث في إعجازه ... وهذا البحث هو الذي وصل بها إلى أن تصبح علماً مستقلاً يُخَصّ بالتأليف . بل لقد ظلت البلاغة بعد نضجها واستقلالها أيضاً عالقة بفكرة إعجاز القرآن والدفاع عنها ؛ فهذا السكاكي (٦٢٦ هـ) في (مفتاح العلوم) يتعرّض لها مع ما في كتابه من بحث نظري قائم على التبويب والتقسيم ... وهذا ابن أبي الإصبع (٦٥٤ هـ) يهتم في (بديع القرآن) بفكرة الكشف عن وجه الإعجاز ... وهـذا الخطيب القزويني (٧٣٩ هـ) صاحب (التلخيص) يضع كتابه في شرح علوم البلاغة ذاكراً في مقدمته أن فكرة الاعجاز كانت السبب في وضع الكتاب ، يقول : « علم البلاغة وتوابعها من أجلّ العلوم قدراً، إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها ، وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها .. » وهذا صاحب الطراز يحيى بن حمزة اليمني (٧٤٩هـ)يقول في مقدمة طرازه « إن الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الاخوان شرعوا عليّ في قراءة كتاب (الكشاف) تفسير الشيخ العالم المحقق أستاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري ، فإنه أسسه على قواعد هذا العلم ، فاتضح عند ذلك وجه الاعجاز من التنزيل ... وتحققوا أنه لا سبيل إلى الاطلاع على حقائق إعجاز